

ميل الى الاختصاص والاستثمار بالمنفعة اذا لم يصبغوا بتربية ذكية . وسعة
المطعم اذا حجبها اقتدار يطبعها على العدوان فلماذا صار بعض الناس عرضة
لاعتداء بعض آخر فاضطروا بعد منازلة الشرور أحقاباطوا الا الى الاعتصاب
بالحمة النسب على درجات متفاوتة حتى وصلوا الى الانجاس فتوزعوا أما
كالمدي والانسكايزي والروسي والتركماني ونحو ذلك ليكون كل قبيل منهم
بقوة أفراد المتلاحمة قادرا على صيانة منامه وحفظ حقوقه من تمدي القبيل
الآخر ثم تجاوزوا في ذلك حد الضرورة كما هي عادة الانسان في أطواره
نذهبوا الى حد أن يأنف كل قبيل من سلطنة الآخر عليه علمابانه لا بد ان
يكون جائرا اذا حكم واثم عدل فان في قبول حكمه ذلا تحس به النفس
وينعمل له القلب نلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو
الضرورة في الزوال كما تبعها في الحدوث بل اريب . وتبطل الضرورة بالاعتقاد
على حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل اعضاءه القدر وتخضع لسلطته النفوس
بالطبع وتكون بالنسبة اليه متساوية الاقدام وهو مبدأ الكل وقهار السموات
والارض ثم يكون القائم من قبله بتنفيذ أحكامه مساها للساكنة في الاستكانة
والرضوخ لاحكام أحكم الحاكمين فاذا أذنت الانفس بوجود الحاكم
الاعلى وأيقنت بمشاركة القيم على أحكامه امامتهم في النظام لما أمر به
اطمأنت في حفظ الحق ودفع الشر الى صاحب هذه السلطنة المقدسة
واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها فمحي أثرها من النفوس
والحكم لله العلي الكبير

هذا هو السر في اعراض المسلمين على اختلاف أقطارهم عن اعتبار
الجنسيات ورفضهم أي نوع من أنواع العصبيات ما عدا عصبيتهم الاسلامية

فإن المتدين بالدين الإسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويتنتف عن الرابطة الخاصة إلى العلاقة العامة وهي علاقة المعتد (١) لأن الدين الإسلامي لم تكن أصوله قاصرة على دعوة الخلق إلى الحق وملاحظة أحوال النفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الأدنى إلى عالم أعلى بل هي كما كانت كافلة لهذا جادت وإفية بوضع حدود المعاملات بين العباد وبيان الحقوق كليها وجزئها وتحديد السلطة الوازعة التي تقوم بتنفيذ المشروعات وإقامة الحدود وتعيين شروطها حتى لا يكون القابض على زمامها إلا من أشد الناس خضوعاً لها ولن ينالها بوراثة ولا امتياز في جنس أو قبيلة أو قوة بدنية أو ثروة مالية وإنما ينالها بالوقوف عند أحكام الشريعة والقدرة على تنفيذها ورضاء الأمة. فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية التي لا تميز بين جنس و جنس واجتماع آراء الأمة وليس للوازع أدنى امتياز عنهم إلا بكونه أحرصهم على حفظ الشريعة والدفاع عنها

وكل نفاق تكسبه الأنساب وكل امتياز تفيدته الاحساب لم يجعل له الشارع أثراً في وقاية الحقوق وحماية الأرواح والأموال والأعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحققة فهي ممقوتة على لسان الشارع والمعتد عليها مذموم والمتعصب لها ملوم فقد قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية

«٩» ولكن قد بلينا في هذا الزمان بقوم لم يتربوا تربية إسلامية فاندفعوا بالسوس الأوروبية إلى قطع العلاقة العامة الاعتقادية وتعليم الناس التعصب لوطنهم فقط ولا وجود لهم إلا في مصر ويسمون أنفسهم الوطنيين ونحمد الله أن عدوهم قليل والألا لاقوا العداوة والبغضاء بين مسلمي مصر وسائر المسلمين

والاحاديث النبوية والآيات المنزلة متضافرة على هذا ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكفاية في التقوى (اتباع الشريعة) «ان أكرمكم عند الله اتقاكم» :ومن ثم قام بأمر المسلمين في كثير من الازمان على اختلاف الاجيال من لا شرف له في جنسه ولا امتياز له في قبيله ولا وراث الملك عن آباءه ولا طلبه بشيء من حسبه ونسبه وما رفعه الى منصة الحكم الا خضوعه للشرع وعنايته بالمحافظة عليه

وان بسطة ملك الوازعين في المسلمين كان يسديها اليهم على حسب امتثالهم للاحكام الالهية واهتمامهم بهديها وتجردهم عن الاعتلاء الشخصي وكلما أراد الوازع أن يختص نفسه بما يفوق به غيره في ابهة ورفاهة معيشة وان يستأثر على المحكرمين بحظ زائد رجعت الاجناس الي تمصيحها ووقع الاختلاف وانقبضت سلطة ذلك الوازع

هذا ما أرشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم الى الآن لا يمتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا ترى العربي لا ينفر من سلطة التركي والفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يدعن لرأسة الافغانى ولا اشمزاز عند أحد منهم ولا اقتباض . وان المسلم في تبدل حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكالها وانتقالها من قبيل الى قبيل ما دام صاحب الحكم حافظا لشأن الشريعة ذاهبا مذاهبا . نعم اذا بنا في سيره عنها وجار في حكمه عما نصت عليه وطلب الاثرة بما ليس له من حقه انصدعت منه القلوب عن محبته الاتقى وأصبح وان كان وطنيا فيهم أشنع حالا من الاجنبي عنهم

ان المسلمين اختصوا من بين سائر ارباب الاديان بالتأثر والأسف عند

ما يسمون باتصال بقعة اسلامية عن حكم اسلامي بدون التفات الى جنسها وقبيلها ولو ان حاكما صغيرا بين قوم مسلمين من أي جنس كان تبع الاوامر الالهية وثار على رعايتها وأخذ الدهماء بمحودها وضرب بسببها مع المحكومين في الخضوع لها وتجافى عن الاختصاص بمزايا المنخفضة الباطلة لا يمكنه ان يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان وان ينال الغاية من رفعة الشأن في الاقطار المعمورة بآرباب هذا الدين ولا يتجشم في ذلك أتابا ولا يحتاج الى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهره الدول العظيمة ولا مداخلة أعوان التمدن وأنصار الحرية . . . ويستغنى عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الى الاصول الاولى من الديانة الاسلامية القويمة ومن سيره هذه تدمت القوة وتتجدد لوازم النعمة . أكرر عليك القول بان السبب هو أن الدين الاسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الاديان الى الآخرة فقط ولكنه مع ذلك أتى بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا والتنعيم في الآخرة وهو المعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين وجاء بالمساواة في أحكامه بين الاجناس المتباينة والامم المختلفة ابيضت عين الدهر وامتعق لون الزمان حتى أصاب أن بعضا من المسلمين على حكم النذرة يحز عليهم الصبر ويضيق منهم الصدر لجور حكامهم وخروجهم في معاملتهم عن أصول العدالة الشرعية فيلجأون للدخول تحت سلطة أجنبية على ان الندم يأخذ بأرواحهم عند أول خطوة يخطونها في هذا الطريق فثلهم مثل من يريد الفتك بنفسه حتى اذا أحس بالالم رجع واسترجع . وان بعض ما يطرأ على الممالك الاسلامية من الاتهام والتفريق انما يكون منشأه قصور الوازعين وحيدانهم عن الاصول القويمة التي بنيت

عليها الديانة الاسلامية وانحرافهم عن مناهج أسلافهم الاقدمين فان منابذة
الاصول الثابتة والتكوب عن المناهج المألوفة أشد ما يكون ضررها بالسلطة
المليا فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين
السابقين لم يمض قليل من الزمان الا وقد آتاهم الله بسطة في الملك وألحقتهم
في العزة بالراشدين من أئمة الدين وفقنا الله للسداد وهدانا لطريق الرشاد
(المنار) لقد وقعت مقالة التعصب التي نشرناها في الجزء الماضي أحسن
موقع وأجله في نفوس قارئها من فضلاء المصريين ولا ريب ان سيكون
لهذه ما كان اثلثك فان الشكل من ينبوع واحد وهو علم استاذنا الحكيم
الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية محرر جريدة العروة الوثقى ومن هاتين
المقالتين يعرف القراء الشغوف بالحكمة فيما اشتهر عن الاستاذ من تخطئة اللاعطين
بالوطنية في مصر والاعراض عنهم لجهلهم بما ينفع الامة ويضرها ولكن
زعماء الوطنية يوهمون الناس بأن كل من يسفه أحلامهم فهو ميال الى مسالة
المحتلين أو مناصرتهم وقد أساء أغرار المصريين الظن بكثير من الفضلاء
لوساوسهم ثم انجلت الحقيقة لاكثرهم وستنجلي الآخريين ان شاء الله تعالى

﴿مقاومة رجال الدين لاجل الاصلاح﴾

وصى الله تعالى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ان أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه) واكن رجال الدين من كل أمة فرقوا دينهم وكانوا شيئا
ومذاهب يضل بعضها بعضا فكان هذا التفرق مسقطا للدين من نظر
الحكام والفلاسفة فقام رجال الدين يناصبون أهل العلم العقلي والحكمة
العداء حتى كانت الامم قبل الاسلام تعتقد ان الدين والعقل ضدان